هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

عذاب الغيظ والحسرة

فى مدينة نيويورك رجل اسمه توم وعمره ، ٥٧ سنة . عاش منها ٤٨ سنة لم يبتلع طعاما ، ومع ذلك فهو يأكل أى طعام تشتهيه نفسه . سدت قناة الابتلاع (الزور) عنده وهو فى التاسعة من عمره إثر شربه لسائل ملتهب حرق الزور ولم يفد الطب فى علاجه فأغلق إلى الأبد . واضطر الجراح إلى فتح نافذة مستديرة قطرها بوصة وربع فى معدته ليتناول منها غذاءه

واندفعت أغشية المعدة من هذه الفتحة فكونت ثنية قطرها ثلاث بوصات . فان أراد أن يأكل رقد على ظهره وفك الأربطة عن وسطه ، وأزاح وسادة عن فتحة المعدة ، ثم يثبت فيها أنبوبة قصيرة من المطاط . وبعد ما يمضغ طعامه يضعه فى معدته عن طريق الأنبوبة . وبهذه الطريقة تناول مالا يقل عن ٣٠ الف وجبة طعام لم يشعر فيها بأية مضايقة .

مارس هذا الإنسان كثيراً من الألعاب الرياضية وهو غلام واشتغل فى عدة مهن يدوية ، فلم يلحظ زملاؤه شذوذه اذ كان يتمتع بصحة جيدة . إلى أن أكرهته ظروف العمل إلى الإشتغال فى حفر الخنادق فألهبت الحركة المستمرة أغشية المعدة المكشوفة حتى أدمتها واضطر إلى الالتجاء إلى أحد المستشفيات ، وهناك اكتشفه الطبيبان ولف ، فوجدا فيه حقل تجارب لن يسمح الزمان بمثله . ففى هذه المعدة المفتوحة يستطيعان أن يكشفا أسرار أمراض المعدة ، وأسرار التغذية ، وتأثر عملية الهضم بالانفعالات النفسية .

وتمكنا من إغرائه بالوظيفة الثابتة فى معملها ، وبما يؤديه للانسانية من خدمات ، فقبل منذ ست سنوات أن يعمل معهما . فاشتغل فى صباحه حقل تجارب ، وبعد الظهر كمحضر فى معمل مستشفى جامعة كورنل الطبية .

وفى مثل هذا الانسان تسهل دراسة الظواهر المعدية بانفاذ آلة مثل منظار الخواصة المزود بالضوء إلى داخل المعدة . ولهذا ظلت حياة هذا الإنسان طوال السنوات الست الماضية ممزجة بالتجارب الطبية . فانه أغنى الطبيب عن استعمال منظار المعدة الذى لايتيح فحص الإنسان العادى أكثر من عشر دقائق .

ومن أهم الدراسات التى أجريت عليه فحص العلاقة بين الانفعالات النفسية ومرض قرح المعدة . فبينما الطب يتقدم بخطوات واسعة فى دراساته فان عدد الإصابات بهذه القرح يزيد ، ويعتقد عدد كبير من الباحثين انه نتيجة للاجهاد العصبى والقلق فقدمت لهم معدة توم الدليل العلمى بأن القلق المتواصل ، والغضب ، والعداوة تكون إفرازات تؤدى إلى الإصابة بالقرح .

ويتفق أكثر الأطباء على أن هذا المرض نتيجة لزيادة الإفرازات الحمضية ، ويصف الطبيبان ولف تطوراته ، بأن الإنفعالات النفسية المتعلقة بالقلق أو الغضب تصحب بزيادة إفرازات الحوامض العادية وممها فيض من الدم مما يؤدى إلى غمر أغشية المعدة وتمددها . ويصحب هذه الانفعالات أيضا انقباض شديد فى المعدة .

وفى مثل هذه الحالات يسبب الاحتكاك البسيط بمواد الغذاء الصلبة تسلخات دموية رقيمة فى الأغشية يثيرها اتصالها بالسوائل الحمضية ، المعدية الغير العادية فتزداد الإفرازات الحمضية ، ويزداد غمرها بالدم وتمددها ، فتبدأ حلقة إصابة خطيرة فى المعدة ، فتتصل مادة البيسين الهاضمة بأغشية المعدة الأصلية وتأكل جزءا منها فتسبب قرحة .

ولا تهضم المعدة نفسها أو تأكل أجزاءها لأنها مبطنة بغشاء مخاطى قلوى سميك يقى أغشيتها فلا تلمسها المواد الهاضمة . فإذا انغمس الإنسان فى الانفعالات النفسية المقلقة فإنها تأكل نفسها بطول المدة مبتدئة بالقرح ، مما شاهده الطبيبان فى معدة توم ، فكانا يعرضانه لمختلف الانفعالات النفسية ، ويراقبان التغير الذى يطرأ على معدته ، ولكنه من الطبيعى أن توم لم يصب بقرح المعدة لأن فترة إقلاقه وانفعاله لم تكن طويلة بل كانت فترات قصيرة .

والأشخاص المرضون لهذه الإصابات هم ممن يجدون لذة فى الانفعالات وآلامها ، فيصرون على أن تكون رفيقتهم فى حلهم وترحالهم وفى عملهم وراحتهم .

ولم يؤثر تعاطى الكحول ولا التدخين أيا كانت نسبته على معدة توم ، لأن مخاط المعدة القلوى كان يقى أغشيتها من فعل حوامضهما .. فإن تعرضت المعدة لحوامض قوية لا تكفى لتعادلها